حرب الكنادر

ها هو العيد يقترب علينا بخطوات واسعة وسريعة، ومن المفروض أن تعجّ الأسواق بالمشترين حتى ساعات متأخرة، ولكنها لا تعج. "النّاس زهقوا" قالها لي صديق قريب منّي، "أصبحت الأعياد عِبئًا علينا، عبئًا اقتصاديًّا، مصاريف زائدة، مشتريات لا حاجة بها والأدهى من ذلك المجاملات والنّفاق الاجتماعي الذي لا بدّ منه".

يوجد شيء من الحقيقة في كلام صديقي، شيء كثير! الأسواق تخلو من المشترين، هل تعرفون أننا الشّعب الوحيد الذي يرفع الأسعار أيام الأعياد والمناسبات مثل رمضان والعيد الصّغير والكبير؟!

سيعارضني البعض في ذلك أنّ الأعياد فرصة للتّجار للرّبح السّريع وهذا الأمر موجودٌ في كلّ المجتمعات.

ممّا أعرفه أنّ الأعياد هي فرصة للتّخلّص من البضائع القديمة لتحلّ محلها البضائع والموديلات الجديدة، هكذا هو الأمر على الأقل في أوروبا والدّول المتطوّرة.

الجميع يعاني من الجميع... الجميع لا يثق بالجميع.. الجميع ضحيّة الجميع... الجميع أشرار في نظر الجميع ...

من خلال مشاهدتي لمواقع التّواصل مثل الفيسبوك والتيك توك، شهدت في الآونة الأخيرة حربًا من نوع جديد، نوع لم نعهده في بلادنا المنهكة حروبًا. حرب بين تجّار الكنادر، تجّار ينشرون مقاطع كثيرة ترويجًا لتجارتهم ويبدأون بمهاجمة بعضهم الآخر بدون رحمة، والأدهى من ذلك أنّ لكلّ واحد منهم جمهوره ومتابعيه الذين يدعمونه ويؤيّدونه. هذه الحرب نحن ذخيرتها، فكل البضائع التي يبيعونها هي بضائع تحمل أشهر الماركات العالميّة وأفخرها... لكنّها وللأسف كلّها مزيّفة ولا تمت بصلة للبضائع الحقيقيّة.

اعترف أنني لا أشتري البضائع والماركات المزوّرة، ولكنني وعندما أظهر لابسًا أحد القمصان التي تحمل إحدى الماركات يتهمّني البعض أنّها مزوّرة، "وتعال اثبت أنّها ليست مزوّرة".

لنعد إلى العيد وإلى المجاملات. لقد جهّزنا أنفسنا للعيد واشترينا الحلويات وملزمات الضّيافة من فواكه مجفّفة وسكاكر وغيرها. ما يقلقني في هذا الأمر أننا سنضطّر بالتّالي إلى أكلها نحن بأنفسنا، فالزّوّار قليلون كما هو الأمر بالأسواق، لا أحد يزور أحدًا، والشّاطر من يهرب هو وعائلته من البلاد قبل

العيد، وكما قالها لي أحدهم "سأصرف نقودي على إجازة لي ولعائلتي بدل صرفها على الحكي الفاضي" حسب أقواله.

ما أقوله هو أننا قد فقدنا الشّغف للكثير من تلك الأمور، حيث تمرّ علينا لحظات نشعر أنّ الحياة بلا هدف، وأنّ الأمل أصبح مفقودًا، وأنّ اللون الباهت يجتاح قلوبنا بين الحين والآخر. نحن بحاجة إلى الشّغف الذي يحرّك شعور الإنسان لأن يجتاز الحياة، لأن يصنع من تلك الأشياء الصّغيرة ما يبعث في قلبنا التفاؤل والانبساط، نحن بحاجة لأن نقف على أقدامنا مديرين ظهورنا لمنغّصات الرّوح.

دعونا نستقبل عيدنا بطرفة:

قيل أنّ جحا قام بشراء عشرة حمير فركب واحدًا منها وساق أمامه التّسعة الباقية، ثم عدّ الحمير ونسي الحمار الذي كان يمتطيه فوجدها تسعة، فسارع بالنّزول من ظهر الحمار وعدّها ثانيةً فوجدها عشرة، فركب مرة ثانية وعدّها فوجدها تسعة، ثم نزل وعدّها فوجدها عشرة وبقي يعيد ذلك مرارًا وتكرارًا ثم قال: أن أمشي وأربح حمارًا خير من أن أركب ويذهب مني حمار فمشى خلف الحمير حتى وصل إلى منزله.

عدّوا حميركم قبل الركوب وبعده فالحياة قصيرة فلا تولوا اهتمامًا إذا نقص حمار أو زاد، عودوا إلى شغفكم ولهفتكم لنجعل حياتنا فرحًا وسعادة وكل عام وأنتم بخير .

أ.أيمن جبارة